

## الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[514] تقول على لسان نوح: (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا) فأنا لا أطلب لقاء دعوتي مالا أو ثروة منكم، وإنما جزائي وثوابي على القرآن سبحانه الذي بعثني بالنبوة وأمرني بدعوة خلقه إليه (إن أجري إلا على القرآن). وهذا يوضح بصورة جيدة وبجلاء أنني لا أبتغي هدفاً مادياً من منهجي هذا، ولا أفكر بغير الأجر المعنوي من القرآن سبحانه، ولا يستطيع مدعي كاذب أن يتحمل الآلام والمخاطر دون أن يفكر بالربح والنفعة. وهذا معيارٌ وميزان لمعرفة القادة الصادقين من غيرهم الذين يتحينون الفرص ويهدفون إلى تأمين المنافع المادية في كل خطوة يخطونها سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر. ويعقب نوح (عليه السلام) بعد ذلك في ردّه على مقولة طرد المؤمنين به من الفقراء والشباب فيقول بصورة قاطعة: (وما أنا بطارد الذين آمنوا) لأنهم سيلاقون ربهم ويخاصمونني في الدار الآخرة (إنهم ملاقوا ربهم) (1). ثم تُوختم الآية ببيان نوح لقومه بأنكم جاهلون (ولكنني أراكم قوماً تجهلون) وأي جهل وعدم معرفة أعظم من أن تضيعوا مقياس الفضيلة وتبحثون عنها في الثروة والمال الكثير والجاه والمقام الظاهري، وتزعمون أن هؤلاء المؤمنين العُفاة الحفاة بعيدون عن القرآن وساحة قدسه! هذا خطأكم الكبير وعدم معرفتكم ودليل جهلكم. ثم أنتم تتصورون - بجهلكم - أن يكون النبي من الملائكة، في حين ينبغي أن يكون قائد الناس من جنسهم ليحس بحاجاتهم ويعرف مشاكلهم وآلامهم. وفي الآية التي بعدها يقول لهم موضحاً: إنني لو طردت من حولي فمن ينصرتي من عدل القرآن يوم القيامة وحتى في هذه الدنيا (ويا قوم من ينصرتي من القرآن إن نوح (عليه السلام): إن الذين آمنوا بي إذا كانوا كاذبين في الباطن فإنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة وهو يحاسبهم، ولكن الإحتمال المذكور أقرب للصحة.